يُـقَـصِّـرُ عَـنْ يَـمـيـنِـكَ كُـلُّ بَـحْـرٍ
وَعَـمَّـا لَـمْ تُـلِـقْـهُ مَـا أَلَاقَـا[١]
وَلَـوْلَا قُـدْرَةُ ٱلْـخَـلَّاقِ قُـلْـنَـا
أَعَـمْـداً كَـانَ خَـلْـقُـكَ أَمْ وِفَـاقَـا[٢]
فَـلَا حَـطَّـتْ لَـكَ الْـهَـيْـجَـاءُ سَـرْجـاً
وَلَا ذَاقَـتْ لَـكَ الـدُّنْـيَـا فِـرَاقَـا[٣]

أراه غباري ثم قال له الحق

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر الفداء الذي طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :
[الطويل]

لِـعَـيْـنَـيْـكِ مَـا يَـلْـقَـى الْـفُـؤَادُ وَمَـا لَـقِـي
وَلِـلْـحُـبِّ مَـا لَـمْ يَـبْـقَ مِـنِّـي وَمَـا بَـقِـي[٤]

= والغدر والكفران، فقد ظهر له زيفهم، فودّهم خداع وغش، حتى دينهم بمظهره نفاق مغلّف بممارسات فارغة من مضمون الإيمان الصحيح.

(١) يفضل الشاعر ممدوحه، فيمناه تقطر كرماً لا يُساويه كل ما تُقدّمه البحار من عطاء، لذا فهو أكرم منها، وفي المقابل ما يبقيه في خزائنه رغم كثرته، فهو أقل ممَّا ينفقه؛ وذلك سرّ عظمته.

(٢) إن في الأمر سرًّا حمل الشاعر ليتساءل عن سبب عظمة ممدوحه، فإذا به يردّ الأمر إلى الخالق العظيم سبحانه وتعالى، إنه يخلق من يشاء كما يشاء، فهل كان الأمر عمداً أم أنها المصادفة والأقدار التي بعثت سيف الدولة في ظروف كانت الأمة بحاجة لمثله؟

(٣) الهيجاء: الحرب. يدعو الشاعر بطول العمر لممدوحه آملاً أن يبقى بطل الساح يصول ويجول ممتطياً حصانه وأن يحيا في هذه الدنيا فلا يُفارقها.

(٤) يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. لغة العيون تكشف ما في القلوب رسائل لا يفهمها إلّا من يستطيع قراءتها ويفسّر ألغازها. لقد عزف الشاعر عن النساء، ولكن حدثاً مفاجئاً جعله يعدل عن ذلك؛ إنها عيون ساحرة ترمي سهامها بلا رحمة، فتُصيب من تُصيب في مقاتله، فيستسلم بلا مقاومة، وإذا لم يجد تجاوباً كان البلاء، فنحول جسم، وشرود عقل ودموع وبكاء.

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ
وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ (١)
وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى
مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقْرِقِ (٢)
وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ
وَفِي الْهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (٣)
وَغَضْبَى مِنَ الإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَى
شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ (٤)
وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ
سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِي (٥)

---

(١) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ١٩٥، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٢٩١، ٦٠٥. يتابع الشاعر أنه كان عازفاً عن النساء، لا يصبو إليهن، ولكن عيني حبيبته الساحرتين سلبته مقاومته، فإذا به يستسلم لسحرهما، حتى من لا يشعر بأدنى إحساس نحو النسوة يذوب عشقاً ووجداً لأجل عينيها، فكيف بالشاعر؟!

(٢) النوى: البعد، المترقرق: الدمع على وشك الانهمار. يُصوّر الشاعر حاله، فالبكاء لغة الحرمان، يُحاول إرضاء حبيبته، ويخاف غضبها، وهو يتأرجح بين الوصل والهجر، وهذا ما يزيد آلامه فيحاول إمساك دموعه التي تتغلغل في عينيه، وقد يغلبه دمعه فينهمر.

(٣) ربّه: صاحبه. يتّقي: يجتنب. يرى الشاعر أن روعة الحبّ تكمن في أن توقّع حصول لقاء الحبيبة عذاب عذب، وللترقّب طعم لذيذ، والتوقّع يُثير في النفس خيالات وآمالاً، باغتنام فرصة عزيزة على القلب، ولكن في حالة حصوله يفقد المرء روعة الإحساس وخصوصاً بعد طول إعراض.

(٤) ريّق الشباب: أوله. يرى الشاعر أن حبيبته تصطنع الغضب دلالاً لتكتشف مدى حبّه لها؛ يحقّ لها ذلك، إنها في ميعة الصّبى، سكرى بجمالها تزهو بما هي عليه تختال وكأنها تقدّم للحياة شيئاً جديداً طرأ على الكون، فأنار جنباته، وتلك مشكلة الشاعر، فذلك يزيده تعلقاً بها وحبًّا لها.

(٥) الأشنب: الأبيض الأسنان المعسولة. الثنيات: الأسنان التي في مقدم الفم. المفرق: =

وَأَجْيَادِ غِزْلَانٍ كَجِيدِكِ زُرْنَنِي
فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ (١)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيُرْضِي الْحُبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي (٢)
سَقَى ٱللَّهُ أَيَّامَ الصِّبَى مَا يَسُرُّهَا
وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعَتَّقِ (٣)
إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعاً بِهِ
تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٤)

= موضع افتراق شعر الرأس. يصف الشاعر ترفّعه عن الخنى، لقد كان لقاء حبيبة ذات فم عذب المذاق، تنتظم أسنانها لؤلئية تبثّ رضاباً حلو المذاق يُغري بالقبل وينير وجهاً يشعّ نضرة وجمالاً، إنها ساعة امتحان عسير نجح فيها الشاعر فصان فمه وامتنع عن الفحشاء فإذا بفتاته تقبل رأسه حناناً وتقديراً لشهامته.

(١) الأجياد، الواحد جيد: الأعناق، العاطل: من لا حلي له. المطوّق: من طوّقت جيدها بالحلي. يُعقب الشاعر على ما سبق أنه عفّ ولم يقرب زنى، رغم كثرة النسوة الجميلات كأنهن غزلان من اللواتي زرنه؛ إنه لم يعرف إذا ما كنّ عاطلات لا يتحلّين بالحلي أو مطوقات جيادهن بالعقود والحلي.

(٢) الحِبّ، بكسر الحاء: المحبوب. ويُردف الشاعر منوّهاً بعفافه أنه ليس كلّ محبّ عفيفاً، فإذا خلا بمن يُحبّ أفحش وارتكب الموبقات والزنى إنه لم يقدم على ذلك، بل إنه يُحاول أن يُرضي محبوبته بإظهار شجاعته في ميادين القتال؛ وهذا ما يُعجب المرأة العربية من حبيبها.

(٣) البابلي: الخمرة المعتّقة في بابل، يدعو الشاعر بالسقيا لأيام الشباب الغضّ، إنها أيام سرور وانطلاق في عالم الفتوّة، ففعلها في النفس كفعل الخمرة البابلية المعتّقة تفعل فعلها في النفوس وتحرّك القلوب.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٦، تخرّق: تمزّق. يُشتمّ من بيت المتنبي رائحة الأسى والألم في قوله، فالمرء يأتي إلى الوجود ويقتحم الحياة فيلبس الأيام فتتوالى وتبلى جدّة الإنسان ثم تقضي عليه، بينما تستمر الحياة ويستمرّ الكون، وهكذا تُسلب النفوس من عالم الوجود إلى عالم الفناء.

وَلَـمْ أَرَ كَـالْأَلْـحَـاظِ يَـوْمَ رَحِـيـلِـهِـمْ
بَـعَـثْـنَ بِـكُـلِّ الْـقَـتْـلِ مِـنْ كُـلِّ مُـشْـفِـقِ (١)
أَدَرْنَ عُـيُـونـاً حَـائِـرَاتٍ كَـأَنَّـهَـا
مُـرَكَّـبَـةٌ أَحْـدَاقُـهَـا فَـوْقَ زِئْـبَـقِ (٢)
عَـشِـيَّـةَ يَـعْـدُونَـا عَـنِ الـنَّـظَـرِ الْـبُـكَـا
وَعَـنْ لَـذَّةِ الـتَّـوْدِيـعِ خَـوْفُ الـتَّـفَـرُّقِ (٣)
نُـوَدِّعُـهُـمْ وَالْـبَـيْـنُ فِـيـنَـا كَـأَنَّـهُ
قَـنَـا ٱبْـنِ أَبِـي الْـهَـيْـجَـاءِ فِـي قَـلْـبِ فَـيْـلَـقِ (٤)
قَـوَاضٍ مَـوَاضٍ نَـسْـجُ دَاوُدَ عِـنْـدَهَـا
إِذَا وَقَـعَـتْ فِـيـهِ كَـنَـسْـجِ ٱلْـخَـدَرْنَـقِ (٥)

---

(١) المشفق: الخائف. عاد الشاعر مرة أخرى إلى الحديث عن الوداع؛ فالنظرات تؤدي رسائلها بين المحبين، ولأنه وداع قد لا يكون بعده لقاء يحمل في طيّاته لون الموت والخوف، فسحر العيون في هذه الحالة يمزّق الأكباد ويُميت قلوب العشاق.

(٢) الأحداق، الواحدة حدقة: سواد العينين. يصف الشاعر انفعالات النسوة وهن على وشك الرحيل، فإذا بعيونهن لا تستقرّ على شيء، لكثرة حيرتهن وهن يتملين بالنظر إلى ديارهن التي يُغادرنها، وقد لا تكون عودة إليها، ويُحاولن أن يُملين عيونهن التي لا تهدأ كأنها زئبق رجراج.

(٣) يعدونا: يمنعنا، إنه المساء، تتلاحق النظرات، ولكن ثمّة ما يحول دون الرؤية الواضحة؛ إنه البكاء، فالدموع غصّ بها البصر فاستحالت الرؤية.

(٤) ورد البيت في: التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢: ٣١٥، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٣. البين: الفراق. القنا: الرماح. الفيلق: الفرقة من الجيش، يتخلّص الشاعر من الغزل إلى موضوع مدحيّ. يصوّر الشاعر مدى ما يتركه فراق الأحبّة بالنفس؛ إنه بمثابة رماح أبي الهيجاء سيف الدولة وقد مزّقت قلوب العاشقين.

(٥) قواضٍ: قاتلة، مواضٍ: نافذة، نسج داود: صناعته. الخدرْنق: العنكبوت. يصف الشاعر رماح الأمير، إنها تقضي على الأعداء مخترقة الدروع وممزّقة الأجساد، فإذا بها كنسج عنكبوت دلالة على قوّة الضرب وسهولة التمزيق.

هَـوَادٍ لِأَمْـلَاكِ الْـجُـيُـوشِ كَـأَنَّـهَـا
تَـخَـيَّـرُ أَرْوَاحَ الْـكُـمَـاةِ وَتَـنْـتَـقِـي (١)
تَـقُـدُّ عَـلَـيْـهِـمْ كُـلَّ دِرْعٍ وَجَـوْشَـنٍ
وَتَـفْـرِي إِلَـيْـهِـمْ كُـلَّ سُـورٍ وَخَـنْـدَقِ (٢)
يُـغَـيـرُ بِـهَـا بَـيْـنَ ٱلـلُّـقَـانِ وَوَاسِـطٍ
وَيُـرْ كُـزُهَـا بَـيْـنَ الْـفُـرَاتِ وَجِـلَّـقِ (٣)
وَيُـرْجِـعُـهَـا حُـمْـراً كَـأَنَّ صَـحِـيـحَـهَـا
يُـبَـكِّـي دَمـاً مِـنْ رَحْـمَـةِ الـمُـتَـدَفِّـقِ (٤)
فَـلَا تُـبْـلِـغَـاهُ مَـا أَقُـولُ فَـإِنَّـهُ
شُـجَـاعٌ مَـتَـى يُـذْكَـرْ لَـهُ الـطَّـعْـنُ يَـشْـتَـقِ (٥)

(١) هوادٍ: مرشدات، الأملاك: الملوك. الكماة، الواحد كمي: البطل المدجج بالسلاح. تلك الرماح تختار من المحاربين الملوك فتفتك بهم وتقتلهم، ولقد اعتادت على قتل السادات وكبار القوم من العداة.

(٢) تقدّ: تقطع. الجوشن: الدرع. تفري: تفصل. الخندق: الحفير يُقام لحماية المدن حولها، ولقوّة تلك الرماح، فإنها تمزّق الدروع التي يحتمي فيها الكماة الشجعان، ولذلك فإنها لا تحصّنهم من مصائرهم المحتومة، حتى الخنادق التي حفرت لتحميهم من جند الأمير، فإذا بجنوده يتخطّونها، فيقع الأعداء طعماً سهلاً لهم، إنهم بُسلاء شجاعتهم تتخطّى كلّ الحواجز.

(٣) اللقان: من بلاد الروم. واسط: بلد بالعراق. جلّق: غوطة دمشق. تلك الجيوش يد الأمير التي يبطش بها، إنها تنساح بناءً لرغبته في البلدان، فقد دكّت اللقان من بلاد الروم، وأوقع الأمير ببني البريدي بواسط، ومدى انتشار جند ما بين الفرات إلى أقاصي بلاد الشام.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. المتدفق: المتكسر. يصف الشاعر تلك الرماح التي استُعملت في معارك الأمير إنها ملطّخة بالدماء، فمنها ما يقطر دماً كأنه يبكي ما تكسّر منها أثناء المعركة حزناً على ما أصابه من أذًى.

(٥) يُخاطب الشاعر صاحبيه، على طريقة الجاهليين في مخاطبة صاحبين، طالباً منهما ألّا يذكراه بالحروب، فإذا ذكرت الحروب أمامه نهض إليها لشدّة حبّها المتعلّق في قلبه، فديدنه مزاولتها باستمرار.

ضَـرُوبٌ بِـأَطْـرَافِ الـسُّـيُـوفِ بَـنَـانُـهُ
لَـعُـوبٌ بِـأَطْـرَافِ الْـكَـلَامِ الـمُـشَـقَّـقَ[١]
كَـسَـائِـلِـهِ مَـنْ يَـسْـأَلُ الْـغَـيْـثَ قَـطْـرَةً
كَـعَـاذِلِـهِ مَـنْ قَـالَ لِـلْـفَـلَـكِ ٱرْفُـقِ[٢]
لَـقَـدْ جُـدْتَ حَـتَّـى جُـدْتَ فِـي كُـلِّ مِـلَّـةٍ
وَحَـتَّـى أَتَـاكَ الْـحَـمْـدُ مِـنْ كُـلِّ مَـنْـطِـقِ[٣]
رَأَى مَـلِـكُ الـرُّوم ٱرْتِـيَـاحَـكَ لِـلـنَّـدَى
فَـقَـامَ مَـقَـامَ الـمُـجْـتَـدِي الـمُـتَـمَـلِّـقِ[٤]
وَخَـلَّـى الـرِّمَـاحَ الـسَّـمْـهَـرِيَّـةَ صَـاغِـراً
لِأَدْرَبَ مِـنْـهُ بِـالـطِّـعَـانِ وَأَحْـذَقِ[٥]
وَكَـاتَـبَ مِـنْ أَرْضٍ بَـعِـيـدٍ مَـرَامُـهَـا
قَـرِيـبٍ عَـلَـى خَـيْـلٍ حَـوَالَـيْـكَ سُـبَّـقِ[٦]

(١) يصف الشاعر سيف الدولة بأنه ضروب، من صيغ المبالغة، أي كثير الضرب، فهو يستعمل سيفه باستمرار دلالة على قوّته وشجاعته، وهو كذلك بليغ يُحسن فن القول، فيُشقّقه بفصاحة وبلاغة رفيعة.

(٢) يصف الشاعر الأمير بالجود المفرط، فلو أن سائلاً طلب عطاءً لكان عطاؤه إليه بمثابة نقطة في بحر جوده، إنه لا يتردّد في هذا الامتحان لأنه مجبول على الكرم، وفي ذلك ردّ على لائمه؛ وشأنه في ذلك كمن يقول للفلك: ارفق في حركتك.

(٣) يخاطب الشاعر الأمير بأن جوده عمّ سائر الناس، سواء من كانوا يدينون بملّته أو من غيرها، وهم خليط من أمم شتّى، فكانت جائزته منهم حمداً وحبًّا وعرفاناً بجميل.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. الارتياح: الانشراح. الندى: الكرم. المجتدي: الطالب العطاء. المتملّق: المتودّد بخضوع وبمعسول الكلام. لقد شعر ملك الروم بانشراح صدر الأمير إلى الجود، فاستغلّ أريحيته، فتودّد إليه بمعسول الكلام وإظهار خضوع كاذب. ليستثير فيه ملكة العطاء والكرم.

(٥) و (٦) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. خلّى: ترك. الرماح السمهرية: التي صنعها سمهر وقوّمها. الصاغر: الذليل. الأدرب: الأكثر دربة ومعرفة. يذكر الشاعر سعي ملك الروم لإرضاء الأمير، فقد =

وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ
فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (١)
فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ
شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ (٢)
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى
إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي (٣)
وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ
بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمَّقِ (٤)
وَكُنْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هٰذِهِ
كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ (٥)

= تخلّى عن سلاحه من رماح وغيرها، لأنه من الجبن والصغار بمكان عالٍ لمن هو أكثر دراية في فنون القتال واستعمال السلاح، وكانت وسيلته معاهدة صلح رغم بعد بلاده التي من السهل أن يغزوها الأمير بخيوله السباقة السريعة، فتحيط به ويكون من الهالكين.

(١) و (٢) المسرى: الطريق الذي يسار فيه ليلاً. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. لقد كانت رحلة رسول ملك الروم طويلة، ولقد وطئ برجليه رؤوس قتلاهم التي غطّت الطريق رغم طولها، وهو في طريقه إلى الأمير في حلب، يسير ليل نهار حتى مثل بين يدي الأمير، هاهوذا يمشي بين الصفوف، وحيثما التفت وجد شعاعاً يعمي الأبصار؛ فالكلّ مسربل بالحديد، وتخلط مشاعره فيسأل نفسه أين يوجد، والكلّ متشابهون، وألق الحديد حال دون رؤية الأمير.

(٣) يروى «السماط» بدلاً من «البساط»، والسماط: الصف من الجند يقومون بين يدي الأمير. يرتقي: يصعد. مشاعر ممتزجة خالجت صدر السفير، إعجاب ممزوج بمهابة، وهو لا يعي بين يدي من هو؛ أإنه بحر من الجود أم قمر في علوه ومجده؟

(٤) لم يثنك: لم يصرفك. المهجة: الروح. الكلام المنمق: المزوّق المزيّف. يُخاطب الشاعر الأمير بأن أعداءه يُحاولون تجنّب غضبه كي لا يفنيهم قتلاً وأسراً بحلو الحديث المزخرف المزيّن الممتزج المزيّف.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. القذال: مؤخّر الرأس. الدمستق: القائد من قواد الروم. يُخاطب الشاعر الأمير بأن مكاتبة ملك الروم قبل =

فـإنْ تُـعْـطِـهِ مِـنْـكَ الْأَمَـانَ فَـسَـائِـلٌ
وَإِنْ تُـعْـطِـهِ حَـدَّ الْـحُـسَـامِ فَـأَخْـلِـقِ (١)
وَهَـلْ تَـرَكَ الْـبِـيـضُ الـصَّـوَارِمُ مِـنْـهُـمُ
حَـبِـيـسـاً لِـفَـادٍ أَوْ رَقِـيـقـاً لِـمُـعْـتِـقِ (٢)
لَـقَـدْ وَرَدُوا وِرْدَ الْـقَـطَـا شَـفَـرَاتِـهَـا
وَمَـرُّوا عَـلَـيْـهَـا رَزْدَقـاً بَـعْـدَ رَزْدَقِ (٣)
بَـلَـغْـتُ بِـسَـيْـفِ الـدَّوْلَـةِ الـنُّـورِ رُتْـبَـةً
أَنَـرْتُ بِـهَـا مَـا بَـيْـنَ غَـرْبٍ وَمَـشْـرِقِ (٤)
إِذَا شَـاءَ أَنْ يَـلْـهُـو بِـلِـحْـيَـةِ أَحْـمَـقٍ
أَرَاهُ غُـبَـارِي ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ ٱلْـحَـقِ (٥)
وَمَـا كَـمَـدُ ٱلْـحُـسَّـادِ شَـيْـئـاً قَـصَـدْتُـهُ
وَلَـكِـنَّـهُ مَـنْ يَـزْحَـمِ الْـبَـحْـرَ يَـغْـرَقِ (٦)

= وصول موفده كانت قد بلغته بما أصاب قائده من جراح بسيف سيف الدولة، وإن ذلك الأمر أبلغ مكاتبة ممَّا جعل ملك الروم يميل إلى المهادنة، فكانت المراسلات من جانبه.

(١) ويُردف الشاعر مبدياً رأيه مخيّراً الأمير بين أن يُعطيه الأمان والمهادنة، فذلك من طبعه، لأن ملك الروم جاء سائلاً، والأمير لا يُخيّب من قصده في أمر كهذا، وإما أن يُعدمه الحياة، فهو حري يستحقّ ذلك.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. الصوارم، الواحد صارم: السيف البتّار. الرقيق: العبد. يمدح الشاعر بأن سيوف الأمير لم تترك من جيوش الأعداء من يُفدى لأنه لم يأخذ أسرى منهم ولم يستعبد أحداً حتى يُحرّره.

(٣) القطا: ضرب من الطيور شبيه بالحمام. شفرة السيف: حدّه، الرزدق: الصف. يصف الشاعر كيف كان الأمير يقتل جنود الروم تتوارد الجنود منهم كأنها أسراب قطا ترد المياه، وهم عطاش يردون حوض الأمير فيُخلّصهم من حياتهم.

(٤) يفخر الشاعر بما وصل إليه من علو ومجد لأنه مدح سيف الدولة، إنه مشهور، وقد استمدّ نوره وعلو المكانة بفضل ارتباط اسمه باسم ممدوحه حتى اخترق صيته الغرب والشرق، فكان اسمه نوراً وضّاءً.

(٥) و (٦) الأحمق: الغبي. لطالما ساء الشاعر أن يجد من يطعن على شعره، إذ به يوسّط =

وَيَـمْـتَـحِـنُ الـنَّـاسَ الْأَمِـيـرُ بِـرَأْيِـهِ
وَيُـغْـضِـي عَـلَـى عِـلْـمٍ بِـكُـلِّ مُـمَـخْـرِقِ[١]
وَإِطْـرَاقُ طَـرْفِ الْـعَـيْـنِ لَـيْـسَ بِـنَـافِـعٍ
إِذَا كَـانَ طَـرْفُ الْـقَـلْـبِ لَـيْـسَ بِـمُـطْـرِقِ[٢]
فَـيَـا أَيُّـهَـا الـمَـطْـلُـوبُ جَـاوِزْهُ تَـمْـتَـنِـعْ،
وَيَـا أَيُّـهَـا الـمَـحْـرُومُ يَـمِّـمْـهُ تُـرْزَقِ[٣]
وَيَـا أَجْـبَـنَ الْـفُـرْسَـانِ صَـاحِـبْـهُ تَـجْـتَـرِىءْ
وَيَـا أَشْـجَـعَ الـشُّـجْـعَـانِ فَـارِقْـهُ تَـفْـرَقِ[٤]

= الأمير بينه وبين سواه من الشعراء، وفكرة الاستعلاء جعلته ينظر إلى سواه نظرة تحقير واستخفاف؛ إنهم حمقى لا يقدرون على مجاراته في عبقريّته وشعره. إنه لم يقصد الكيد إلى أمثال هؤلاء، ولكنهم لا يستطيعون اللحاق به، ولذا كان حظهم الغرق في لجّة بحره الطامي.

(١) يمدح الشاعر الأمير بوفور عقله ورجاحته، فرأيه راجح يمتحن به من يدّعي العلم ويُوهم بأنه عالم فيكتشف أمره، ومع ذلك لا يفضحه، إنه كريم الأخلاق فلا يكشف زيفه.

(٢) الإطراق: أن يرمي المرء بنظره إلى الأرض مفكّراً. طرف العين: النظر. يُردف الشاعر كلامه بأن الأمير إذا سمع ما لا يُعجبه أطرق إلى الأرض مفكّراً في أحوال أمثال هؤلاء من البشر، لأنه يُحسّ بعقله وقلبه نواياهم وأحوالهم، ومع ذلك فهو لا يودّ الإساءة إليهم.

(٣) يمدح الشاعر ممدوحه لمنعته؛ فمن خاف طالباً يسعى للإيقاع به فعليه أن يحتمي به، إنه حِرز أمين يصون الجار ويحميه، وكذلك فمن قلّ ماله وبخل عليه حظه من الرزق، فعليه أن يقصده، فإنه يقصد بذلك جواداً معطاءً يمتاز بالغنى ووفرته.

(٤) ويخاطب الشاعر الجبان الذي يرتعد خوفاً من أعدائه، فعليه أن يرافق الأمير حتى يكتسب قوّة وثقة بالنفس فيستمدّ منه الشجاعة، وفي المقابل من أراد أن يضعف جانبه، فعليه أن يُغادر معسكره حتى يدبّ في قلبه الخوف وتغور قواه فيفقد شجاعته، ولو كان أشجع الشجعان.

إِذَا سَعَتِ الأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ
سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعْيَ مُحْنَقِ(١)
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ(٢)

الحسن في الخلائق لا في الوجه

وقال يمدحه ويذكر قصة حرب جرت بينه وبين عقيل وقشير وعلان وكلاب:
[الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ
مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ(٣)
وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ
بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِي الْمَفَارِقِ(٤)
وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ
كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ(٥)

---

(١) و (٢) الجَدّ، بفتح الجيم: الحظ. المحنق: الغاضب. الأعداء كيدهم في نحرهم لو حاولوا زحزحة الأمير عن ذروة مجده، لانقلب الأمر عليهم، فالأمير محظوظ، وسعده يُلاحق هؤلاء القوم، والغضب يسحقهم، لأنه من حسن توفيقه الظاهر دائماً على أعدائه، لذا فلا يكفي أن التوفيق يلازم المرء، فلا بدّ له من قوّة تسانده لتكمّل عناصر النصر المؤزّر في الحياة.

(٣) و (٤) العذيب وبارق: موضعان بظاهر الكوفة. السوابق: الخيل. العوالي: الرماح. لقد عادت بالشاعر الذكرى إلى أيام اللهو، يوم كان ينزل في تلك الأمكنة العُذيب وبارق، مراتع الطفولة والشباب في العراق، فقد كان الفتيان الصعاليك يجرون رماحهم وهم يُطاردون الفرسان ويتسابقون، وهم يمتطون خيولهم، ويذبحون طرائد صيدهم بما بقي من سيوفهم، إنهم فتيان شجعان، اعتادوا على تكسير سيوفهم في مفارق الأبطال من أعدائهم.

(٥) توسّد: اتخذ وسادة، الثوية: موضع بقرب الكوفة، المرافق، الواحد مرفق: مواصل الأذرع في الأعضاد. الثرى: التراب. ومن الذكريات المحبّبة إلى قلب الشاعر أنه توسّد التراب برفقة صحبه، لقد كان التراب عابقاً بعبير عنبريّ في مرافقهم.